نهضة الألسنيات

في

العصر الحديث

يقتضي الإنصاف وحيادية الباحث أن نعترف بما ظهر من نهضة في الدراسات اللغوية عند الغرب . وهذا راجع إلى أمور كثيرة منها:

- اتساع دائرة الاتصال بين الشرق والغرب منذ الفتح العربي لأوربا وقيام الدولة العربية في الأندلس .
- ظهور نخبة من الباحثين المجتهدين مثل : دي سوسير ، ورولان بارت وجاك دريدا ، وتشارلز بيرس ، اهتموا بالدراسات اللغوية ومناهج النقد .
- الاستفادة مما اطلعوا عليه من التراث العربي ، وقد اعترف المنصفون منهم بقيمة ما أبدعه العقل العربي .
- حالة الاستقرار النسبي التي عاشتها أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ونتيجة لذلك برزت جهود الغربيين ممثلة في اتجاهين :

١- مناهج النقد والتحليل .

٢- الدراسات الأسلوبية وقضايا اللغة .

الاتجاه الأول :

مناهج النقد والتحليل(الأسلوبية والبنيوية والتفكيكية)

الأسلوبية:

نادى بها العالم السويسري فرديناند دي سوسير في كتابه الذي نشر بعد وفاته تحت عنوان (محاضرات في علم اللغة العام) .

الأسلوبية تعنى بلغة الأدب من ناحيتين :

- ناحية اللفظ ومكانه في الجملة وموافقته المعنى من عدمه وما يمتاز به اللفظ دون غيره ، ففي ظل الأسلوبية يفترض وجود عدد كبير من الألفاظ

يمكن أن تكون بدائل للفظة معينة . فقولك مثلا : طار الطائر . يمكن أن نختار له لفظة أخرى مرادفة ، مثل : حلق . أقلع . هوّم . حوّم . اندفع .

- الناحية الثانية : السياق التركيبي وما يسمى: علم الأسلوب الوصفي بما يحمل من القيم التعبيرية والجمالية لأصوات اللغة وما تحمل من دلالات .

البنيوية:

قام هذا المنهج على الأسلوبية وأفاد من منجزات دي سوسير في اللغة والكلام والدال والمدلول، وغيرها من المصطلحات، كالسياق والمرسل والمستقبل أو الملقي والمتلقي.

وتعتمد البنيوية على البحث في العلاقات ومحاولة اكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم في الاستخدام الأدبي للغة من تركيب البناء الوظيفي وذلك باعتبار النص يتكون من بنيات . يقوم الباحث بتحديدها وبيان محتواها ودورها في إقامة الهيكل النصي ومن هذا المنطلق يرى (ليفي شتراوس) (أن البنيوية مجرد طريقة أو منهج يمكن تطبيقه في أي نوع من الدراسات).

التفكيكية:

في ظل هذا المنهج يرى (رولان بارت) : (موت المؤلف) أي أن العلاقة بين المؤلف والنص تنقطع بمجرد إبداع النص، ويصبح النص ملكا للقارئ)، وبتعبير آخر ينصب عمل المنهج التفكيكي على النص ولا شيء غيره .

وتعتبر التفكيكية النص جسدا واحدا يمكن تفكيكه إلى وحدات . بقصد إعادة بنائه وإبراز وحدته . أو كما يقول التفكيكيون :(إن المضمون في ذاته يشبه حبة البصل؛ حيث تتكون كلها من أغشية من سطحها إلى جوهرها).

المنهج النفسي:

يعود هذا المنهج إلى فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي الذي ذهب إلى أن الجهاز النفسي يتكون من ثلاثة جوانب: الهو والأنا والأنا الأعلى .

ويقوم على تناول النواحي النفسية لصاحب العمل الأدبي إيمانا بدور هذه العوامل في إنشاء وتكوين النص، وإرجاع ذلك إلى عقدة . اوديب (الشعور بالذنب) وإليكترا(التعلق بالغير) ، والنرجسية (حب الذات او عشق الذات) ، حيث يعتقد أصحاب هذا المنهج أن الكاتب حال عملية الإبداع يقع تحت تأثير واحدة من هذه العقد ومن خلالها يتشكل العمل الأدبي .

المنهج الاجتماعي:

يعنى بدراسة المجتمع، كما يعنى بتتبع الأعمال الأدبية التي تصور المجتمع بخيره وشره، وتدعو إلى تقدمه، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنهج النقدي قد دعت إليه الفلسفة الاشتراكية ، وهي تعنى بتسجيل الواقع بما فيه وكل ما فيه، وتؤمن هذه الواقعية بالفرد من خلال الجماعة.

المنهج التكاملي:

هو منهج نقدي حديث ينتفع مما تم ذكره من مناهج نقدية ، ولا يقتصر على منهج واحد بعينه.

الاتجاه الثاني :

الدراسات الأسلوبية وقضايا اللغة :

وتتمثل هذه الدراسات في قضايا كثيرة منها :

١- قيمة الكلمة في السياق :

يرى دى سوسير (أنه لا معنى للعلامة إلا بعلاقتها بما ترتبط به من معنى كلّي، والصورة الكلامية عبر النص لا تتحدد إلا من الوظيفة التعبيرية للجملة ، وأن الكلمة بحد ذاتها لا تحمل دلالة إلا إذا ضمت إلى كلمة أخرى تكون معها البناء أو التركيب، وأن الجمل لها دور في تحديد نظام الكلام أي نوع الجملة) .

١- العلاقة بين الجمل داخل النص :

يشير تشومسكي إلى مراعاة النمط الخاص للعلاقات داخل النظام اللغوي وأن الجمل هي الوحدة اللغوية الأساسية التي يقوم عليها الأسلوب بما فيها من بنية عميقة وبنية سطحية، وما يحدث للجملة من تقديم وتأخير أي تحويل.

كما أشار دى سوسير إلى ضرورة وجود تلك العلاقة بين الكلمات في قوله: "وفي الخطاب تقيم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى لها تراكيب".) ويشير أيضا (إلى أن الكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلا إذا اجتمعت في وحدات متداخلة).

٣- دلالة الكلمة :

يرى (ستيف أولمان) أن دراسة علم الدلالة تكون في العلاقة بين العلامة (signe) أي اللفظ أو الكلمة، والمدلول عليه، وهو ما دل على معنى الشيء المعني) .

مشيرا إلى الوظيفة الدلالية والوظيفة الصوتية داخل التركيب، أي العلاقة بين اللغة والفكر.

ويرى دى سوسير (أن التركيب لا ينطبق على الكلمات فحسب،ولكنه ينطبق أيضاً على مجموع الكلمات والوحدات المعقدة من المقاييس والأصناف كافّة كاقسام الجملة والكلمات المركبة والمشتقة، ولا يكفي العلامة الرابطة بين أجزاء التركيب ولكن يؤخذ بعين الاعتبار العلاقة التي تربط الكل بأجزائه، أي أن الجمل لها دور تؤديه في نظام الكلام).

ولو تأملت نظرية النظم عند الجرجاني لوجدت هذه الأمور كلها ماثلة أمامك واستمع إلى ما قاله شيخ العربية عبد القاهر الجرجاني ، يقول : "إن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو ترتيبها الألفاظ في نطقك".

ويقول :(لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، إذ عبّر عن فكرة نظام اللغة حيث ترتيب الكلام في النفس، ثم انتقاء كلمات عدة، وهذا الترتيب يخضع لقواعد اللغة وفق الدلالة العقلية للكلمات)) .

ويقول أيضا :

"فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة. هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة) .